الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٦/١٢/٢٤

مصـــر وســـوريا ..

ودورهمـــا فى المنطقـــة

جاء اعلان القاهرة بتشكيل قيادة سياسية موحدة بين مصر وسوريا ، مفاجأة ليس للعالم العربى فحسب ، بل للعالم الخارجى ، وعلى سبيل التحديد بالنسبة لاسرائيل والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ..

ولكن هنـــاك فارقا كبيرا بين نوعية المفاجأة بالنسبة لكل تلك الاطراف

لا جدال ان العرب يستقبلون هـذه الخطوة بالترحيب والامل والفهم الكامل لابعادها ، وما يمكن أن يستفيده العرب جميعا من ورائها ، بصرف النظر عما يشوب علاقات كل من مصر وسوريا بالبعض الاخر ، وعلى سبيل المثال علاقة مصر بليبيا ، وعلاقة سوريا بالعراق .. ومع ذلك فالقيادة السياسية الموحدة الجديدة تستطيع بكل ما تمثله من اتجاه وحدوى اصيل ، ان تحتوى تلك الخلافات وترتفع فوقها ..

أما عن الاطراف الاخرى ، ففى رأيى ان أثر ذلك لديها يمكن ان يتلخص فيما يلى :

□□ **أولا** : ليس من شك أن اسرائيل لا يمكن ان تكون سعيدة بهذه الخطوة المصرية ـ السورية ، ذلك ان اسرائيل وحدها تدرك تماما ـ **وبصورة عملية ـ تأثير تلك الخطوة عليها وذلك واضح فيما حدث فى حرب أكتوبر ، وعلى الجانب الاخر الاستفادة التى جنتها اسرائيل نتيجة للخلاف المصرى ـ السورى أثناء حرب لبنان .**

وقد تكون الخطوة التى اقدم عليها رابين باستقالة الوزارة وتقديم موعد الانتخابات ، تخفى وراءها احساس اسرائيل بالخطر عندما بدأت تباشير الوفاق المصرى ـ السورى ، والخطر هنا لا يتمثل فى معركة عسكرية جديدة ، بقدر ما يتمثل فى تحرك نحو السلام .. ذلك ان اسرائيل لا تخشى الحرب فقط ، انما هى

تخشى السلام أيضا ، وكل ما تريده وتسعى اليه هو تجميد الموقف على ماهو عليه ..

□□ **ثانيا** : اذا كان ما يراه البعض من ان سياسه وزير الخارجية الامريكية هنرى كيسنجر قد قامت على أساس اختراق السياسة المصرية ـ السورية الموحدة ، والفصل بينهما ، والتعامل مع كل منهما على حدة ، على أساس اقتناعه بأن ذلك يساعد اسرائيل على تحقيق ما تريده ، فان الخطوة التى تمت تصبح تلقائيا متعارضة مع السياسة الامريكية ..

ولكننى أعتقد ان هذا التقييم غير سليم ، وان الخلاف المصرى ـ السورى بعد الاتفاقية الثانية للفصل فى جبهة سيناء لم يكن بتأثير من كيسنجر ، وانما هو خطأ فى النظرة الموضوعية الى الموقف ، أضاعت وقتا طويلا بلا طائل ولا داع ..

ومع ذلك فالسياسة الامريكية الجديدة ـ بعد تغيير الادارة الامريكية ـ عليها ان تضع فى اعتبارها ان تعاملها مع قضية الشرق الاوسط يجب ان يقوم على أساس وحدة التخطيط المصرى ـ السورى [استراتيجيا وتكتيكيا] ، وهذا أمر لا شك يفرض على أمريكا ان تتحرك على جبهة واحدة لا جبهتين ، وان تواجه ضغوط اسرائيل بشجاعة واصرار حتى يمكن ان تساهم ـ أى أمريكا ـ فى التوصل الى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط ..

□□ **ثالثا** : أما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى ، فلو حكمنا على موقفه من هذه الخطوة ، فى ضوء السياسة التى انتهجها عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، فان ذلك يعنى ان موسكو لن تكون سعيدة بالخطوة التى تمت قبل يومين ، ولكن منذ ذلك التاريخ حتى الان جرت مياه كثيرة من تحت كبارى العلاقات العربية ـ السوفيتية ، **ومن المؤكد ان القيادة السوفيتية قد أصبحت تدرك تماما ان العرب ـ خصوصا مصر وسوريا ـ مهما اختلفوا ومهما تباعدوا فمصيرهم الى التفاهم وانهاء الخلاف ، ويقينى ان الاتحاد السوفيتى سوف يعيد حساباته بالنسبة للمنطقة ، وهذا لا يحتاج منه الى أى جهد ، طالما ان ما تعلنه موسكو وتردده دائما**

يتفق تماما مع ما تطالب به كل من القاهرة ودمشق .. المهم هو ان تتخلى القيادة السوفيتية عن سياسة الشك فى كل ما يتعلق بدول المنطقة ، سيما بعد ان تبين لها ان هذه السياسة لاتتفق ومصالحها ، وان الحسابات الموضوعة على أساس الخلافات المعارضة بين العواصم العربية أثبتت دائما فشلها ، لا على المدى الطويل فحسب ، بل على المدى القصير أيضا ..

بعد هذه المقدمة السريعة لانعكاس القرار الذى اتخذه كل من الرئيس أنور السادات والرئيس حافظ الاسد ، على الاطراف المتصلة اتصالا مباشرا بالقضية العربية ، لابد من وقفة متأنية عند القرار نفسه ..

ان المفاجأة فى القرار لم تنبع من صلب القرار نفسه ، ولكن قد تكون فى توقيته ، فلم يتوقع احد انه بعد الخلاف الطويل ، وما واكبه من حملة اعلامية ضارية بين البلدين ، يمكن ان يصدر القرار ، **وبهذه القوة ..**

ولكننا اذا تأملنا فى الموقف ، وتعمقنا فيه ، نجد ان تلك الخطوة طبيعية جدا ، لا فى اتخاذها فحسب ، بل فى توقيتها ايضا ..

ان الخلاف المصرى ـ السورى لم يتعرض لمبادىء ولا لسياسة ولا لهدف ، وانما دار كله حول التكتيك ، وكان معظم المراقبين لهذا الخلاف يتساءلون دائما : فيم الخلاف ، فنحن لا نرى اى تعارض بين السياسة المصرية والسياسة السورية !!

والذى حضر المؤتمر السداسى فى الرياض ، فى شهر سبتمبر الماضى ، أدرك ذلك منذ الدقيقة الاولى للقاء الرئيسين السادات والاسد .. بعد ان تصافح الرئيسان أحس الجميع ان الخلاف انتهى ، وان المياه عادت الى مجاريها ، حتى انه لم تكن هناك من حاجة الى عتاب .. لقد مر الرئيسان على الخلاف بسرعة وانطلقا بعد ذلك يتحدثان عن المستقبل ، وعن مسئوليتهما المشتركة فى تحمل الاعباء ..

وكانت الخطوة الاولى انهاء الحرب فى لبنان .. وقد تحققت ..

وكانت الخطوة الثانية لابد وان تكون توحيد السياسة المصرية ـ السورية ، بأسلوب قوى وعنيد ..

وتوحيد السياسة المصرية ـ السورية فى كافة الجبهات

والقطاعات ، لا يبدأ من فراغ ، بل ينبع من حصيلة التجارب المليئة بالانتصارات والنكسات ..

■ **الوحدة المصرية ـ السورية التى تمت عام ١٩٥٨ ، ثم ما تلاها من انفصال ، اعطى لكل من القاهرة ودمشق دروسا مليئة بالعبر ، وأيضا بالخبرة .. لقد كانت هذه الوحدة تحقيقا لحلم عربى يمتد من المحيط الى الخليج .. هذا صحيح .. ولكننا فى ذلك الوقت لم نكن نملك المعرفة للطريقة التى نحول بها هذا الحلم الى حقيقة ، ومن هنا تعثر التحقيق ، وانتهى بالانفصال ..**

واليوم ، ونحن نقدم على تحقيق الحلم مرة أخرى ، فانما ننفذ ذلك ونحن نضع فى اعتبارنا ضرورة تلافى كل الاخطاء التى وقعنا فيها فى المرة السابقة ..

فالوحدة ليست شعارا يطرح بلا مضمون يسنده وهى ليست اناشيد وأغانى تذيعها الاذاعة ، ونتصور ان الوحدة قد قامت فعلا ..

انما الوحدة تخطيط وتنسيق ومواجهة كل المشاكل بشكل موضوعى مدروس بعيد عن الارتجال وعدم الفهم لابعاد الوحدة ومتطلباتها ..

■ النكسة التى واجهتها كل من مصر وسوريا فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، كانت ايضا درسا ، وبقدر ما فى هذا الدرس من قسوة ، كان فيه أيضا العبرة والجدية ، ومما لا شك فيه ان البلدين استفادا استفادة هائلة من هذا الدرس ، بدليل ما حدث فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .. عندما كان التخطيط السليم ، الواعى ، والدراسة الحقيقية لابعاد المعركة ، والمشاركة المخلصة فى تحمل المسئولية ، جاءت النتيجة نصرا عظيما باهرا لا للبلدين فحسب ، بل للوطن العربى كله ..

وهنا اقف لاقول أننا مطالبون بأن نخطط للوحدة القادمة كما خططنا لحرب أكتوبر المجيدة ، وهنا نضمن أننا سوف نعبر كل العقبات بنفس الروح التى عبرنا بها قناة السويس وهضبة الجولان ، وأن نحقق لها ـ اى للوحدة ـ ما حققناه على جبهات القتال ..

■ هناك ايضا درس آخر على خريطة التجربة الواسعة المصرية ـ السورية ، ذلك هو الحرب الاعلامية التى دارت بين البلدين ، وامتدت الى ما يقرب من سنة ..

اننا قد نختلف ـ وهذا امر طبيعى جدا ـ فالخلاف وارد دائما ما دامت هناك حياة وصراع وقضايا تحتاج الى العلاج .. والخلاف يحدث بين اى صديقين ، بل حتى بين الشقيقين ، ولكن المهم الا يصل الخلاف الى حد السباب وتبادل التهم ، بل ان المفروض اننا ـ كدول متحضرة ـ ان نحصر الخلاف فى حوار هادىء بناء .. وفى يقينى ان كل العاملين فى أجهزة الاعلام لهم دور اساسى ورئيسى فى هذا المجال .. فان عليهم ان يناقشوا الامور بموضوعية ، والا يخرجوا بها عن اطار المصير الواحد خصوصا بعد ان بات واضحا للجميع ـ اعداؤنا قبل أصدقائنا ـ ان الروابط التى تربط بين الشعبين المصرى والسورى لا تتاثر باى خلاف ، وانما الجروح التى تتركها الخلافات ، جروح سطحية تندمل بسرعة ، وبلا حاجة الى أطباء ..

فلنجعل اذن حوارنا دائما حوارا متحضرا ، وهذا أمر سهل وسوف تجد اللجنة التى ستعمل على توحيد الاعلام بين البلدين مهمتها ميسرة ، فنحن نتكلم لغة واحدة ، قد تختلف لهجتها ولكن لا خلاف فى معناها ..

من هذا كله نخرج بنتيجة واحدة ، هى ان تجارب الماضى غنية بالنكسات والانتصارات ، وهذه الحصيلة الضخمة هى التى سوف تمكننا من اعادة بناء الوحدة المصرية ـ السورية على أساس لا يهتز لاى عارض ، ولا تؤثر فيه أى رياح ، مهما كانت عاتية ..

وأعود فأقول اننا كما استفدنا من هزيمة سنة ١٩٦٧ ، علينا أن نستفيد من انفصال سنة ١٩٦١ ..

والوحدة التى نحن بصدد تحقيقها فى الايام القادمة ، تحيط بها عدة حقائق هامة ، فى مقدمتها :

◀ **اولا : ان هذه الوحدة لا تشكل اطلاقا محورا طرفاه دمشق والقاهرة .. بل على العكس هى بؤرة جذب لكل الشعوب العربية لكى تنضم اليها عندما تكتشف ما تحققه من مكاسب ، وهى وحدة تبسط يدها لكل من يريد ان يتعاون معها ، وأن يشارك فى ضمان أمن وسلامة ورخاء الوطن العربى كله ، وهى وحدة تؤمن بأن اى ضرر يصيب اى بلد عربى ، هو ضرر لها ، وأن اى كسب يحققه اى بلد عربى ، هو كسب لها ..**

◀ **ثانيا** : ان التاريخ العربى يؤكد ان أمجاد العرب تحققت فقط فى المراحل التى تعاونت فيها سوريا مع مصر ، وكل المعارك الحربية التى كسبناها فى الماضى ، كانت عندما حارب الجيشان المصرى والسورى جنبا الى جنب ، ولقد سبقنا الاستعمار فى ادراك هذه الحقيقة ، ومن هنا فقد سعى دائما الى تفتيت هذه الوحدة ومحاربتها بكل ما يملك ، ولكن تلك مرحلة انتهت فقد بلغنا من الوعى والادراك القدر الذى يمكننا من تحطيم كل المؤامرات التى تدبر ضدنا ..

◀ **ثالثا** : ان الخلاف بين دمشق والقاهرة ليس كالخلاف بين أى عاصمتين عربيتين .. فهناك خلافات كثيرة بين عواصم عربية كثيرة ، لا يتعدى أثرها حدود البلدين .. صحيح ان علينا جميعا أن نسعى لانهاء كل تلك الخلافات ، لكن الخلاف بين دمشق والقاهرة يتعدى أثره الحدود ، ويصيب كل العلاقات العربية ، ويجمد تحرك العرب ، ويشل تأثيرهم ، ولذلك فان وحدة مصر وسوريا هى دعم للتضامن العربى ، وترسيخ لقدرتهم .

◀ **رابعا** : قد يتصور البعض ان قيام القيادة السياسية الموحدة بين مصر وسوريا فى هذه المرحلة بالذات ، انما هو لتنسيق السياسة فى مؤتمر جنيف ، وبالرغم من أهمية هذه النقطة ، **الا اننى أعتقد انها ثانوية بالنسبة لمعنى الوحدة ككل .. صحيح اننا مطالبون بتوحيد التخطيط بالنسبة لجنيف ، وتوحيده أيضا اذا ما أصرت اسرائيل على التهرب من مؤتمر جنيف ، لكن الوحدة أساسا تشمل معنى أبعد بكثير من مؤتمر جنيف .. انها تعنى المستقبل العربى ككل ، والتضامن العربى ككل .. ان المفروض ان يجتمع مؤتمر جنيف فى شهر مارس القادم ، ولا أتصور اننا سوف نكون قد حققنا الوحدة قبل ذلك ، فقيام الوحدة يحتاج الى وقت أطول من ثلاثة أشهر ، ولكن الوحدة تقوم لما هو ـ سلما أو حربا ـ بعد مؤتمر جنيف .. فمؤتمر جنيف خطوة من خطوات على طريق طويل ملىء بالتحديات ..**

◀ **خامسا** : ولنترك الان خطوات قيام الوحدة تسير فى طريقها الطبيعى ، ونعطيها الوقت كاملا ، لكى تجىء الوحدة فى النهاية خالية من أى ثغرة ،

ونقول ان التنسيق المصرى ـ السورى مطالب الان بالتحرك السريع على أكثر من جبهة ..

مطالب بان يعمل على تعميق السلام فى لبنان ، واحتواء اى خلاف فى الساحة اللبنانية يمكن ان يلهب الموقف من جديد .. ومطالب باحتواء كل الحيل التى تقوم بها اسرائيل الان لتحطيم فرص السلام المتاحة .. فعلينا ان نتحرك فى أمريكا ، وفى الاتحاد السوفييتى ، وفى الامم المتحدة ، وفى أوروبا ، ولدى دول عدم الانحياز ، لكى يكون الجميع على علم بحقيقة الموقف ، وما يمكن ان يسفر عنه اذا نجحت اسرائيل فى تجميد فرص السلام ..

والسؤال الان :

ـ كيف يبدو الموقف العربى فى هذه المرحلة ... ؟

وبكل ثقة ، أجيب فأقول ان الموقف تغير الى الاحسن بشكل ملحوظ وملموس ..

● الخلاف المصرى ـ السورى انتهى الى غير رجعة ، وها نحن نعد الان لوحدة بين البلدين ..

● انتهت الحرب فى لبنان ، والامن يعود شيئا فشيئا اليها ، والحوار الموضوعى يحل مكان السلاح ..

● العالم كله يتحدث عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، ويطالب بضرورة قيام دولة فلسطين ..

● المملكة العربية السعودية تجند سلاح البترول لخدمة القضية العربية ، وتعلن فى مؤتمر الاوبك ذلك بصراحة ووضوح ، وهبذه باليقين خطوة ذكية كان ـ وما زال ـ صداها هائلا وناجحا ..

وهذا كله يعنى عودة التضامن العربى الى وضعه الطبيعى ، مع بعض الشوائب التى يمكن بسهولة أن نتخلص منها ..

فاذا أضفنا الى ذلك المأزق الذى تجد اسرائيل نفسها فى دوامته ، والتخبط الواضح فى سياستها الداخلية والخارجية ، نستطيع أن نخرج بنتيجة واحدة ، هى ان الصورة مشجعة ، والظروف كلها فى صالحنا .. ولا يبقى الا أن نلعب أوراقنا بذكاء ، وهذا ليس مطلوبا من القاهرة ودمشق وحدهما ، انما هو مطلوب من كل العواصم العربية ..

على حمدى الجمال